حق العودة:
المستقبل الوحيد لفلسطين

سلمان أبو ستة*

ملخص: يعيش العالم منذ 7 أكتوبر 2023، وطأة الصراع العنيف المستمر في غزة الذي أدّى إلى خسارة مأساوية لعدد لا يحصى من الأرواح البريئة. والفهم الشامل للوضع الحالي في غزة يحتاج إلى الخوض في جذوره التاريخية. والدراسة التي بين أيدينا تقدم فحصًا نقديًّا دقيقًا للنكبة الفلسطينية والصراع الإسرائيلي الفلسطيني المستمر، وتسلط الضوء على التداعيات العميقة والدائمة للأحداث التاريخية، مثل وعد بلفور، والانتداب البريطاني على فلسطين، والنزوح العميق، ومعاناة السكان الفلسطينيين. علاوة على ذلك، تدعو هذه الدراسة إلى الحق الأساسي للاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم، وتقدمه على أنّه عنصر محوري في الطريق نحو حل الصراع والسلام الدائم. وأخيرًا، تتناول الأدوار التي تؤدّيها القوى الدولية وسياساتها، وتسلط الضوء على تأثيرها في استمرارية الصراع.

الكلمات المفتاحية: النكبة الفلسطينية، الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، التهجير، وعد بلفور.

*هيئة أرض فلسطين، المملكة المتحدة.

Right of return:
The only future for Palestine

SALMAN ABU SITTA*

ORCID NO :0009-0003-1435-095X

ABSTRACT: *Since the October 7, 2023, the world has been deeply affected by the ongoing conflict in Gaza, resulting in the tragic loss of countless innocent lives. To gain a comprehensive understanding of the current situation in Gaza, it is imperative to delve into its historical roots. This commentary offers a meticulous and critical examination of the Palestinian Nakba and the enduring Israeli-Palestinian conflict. It underscores the profound and lasting repercussions of historical events such as the Balfour Declaration and the British Mandate on Palestine, shedding light on the profound displacement and suffering endured by the Palestinian population. Furthermore, this commentary advocates for the fundamental right of Palestinian refugees to return to their homeland, presenting it as a pivotal element in the path towards conflict resolution and lasting peace. Lastly, it scrutinizes the roles played by international powers and their policies, highlighting their impact on perpetuating the conflict.*

*Palestine Land Society, United Kingdom.

Keywords:*Palestinian Nakba, Israeli-Palestinian conflict, displacement, Balfour Declaration.*

رؤيـــة تركيـــة
2024-(1/13)
71 - 92

DOI:10.36360/1560-013-001-006

المدخل:

النكبة الفلسطينية ليس لها مثيل في التاريخ. هذه حقيقة لا يمكن إنكارها، لكنها خافية على العالم الغربي. وإخفاء هذه الحقيقة جريمة بموجب القانون الدولي. من الأهمية بمكان في هذا السياق، دراسة الحقائق للحصول على فهم شامل لهذه القضية. بدايةً، قام جيش أجنبي من أوروبا بغزو فلسطين في أواخر عام 1910، واحتلّ أرض فلسطين بقوة السلاح من خلال سلسلة من المجازر، وجرى تفريغها من أهلها بتهجيرهم إلى مخيمات اللاجئين. ثانيًا، بدأت أعمال طمس معالم فلسطين المادية والثقافية بشكل منهجي، وجرى الاستيلاء على جغرافيتها، وإعادة تسميتها بشكل وهمي من قبل الغزاة، وجرى مسح تاريخها من جميع السجلات، واستبدال نسخة أسطورية بها، وجرت مصادرة تراثها بوصفه ملكًا للغزاة. ثالثًا، دأبت الطائرات والدبابات والمدفعية الإسرائيلية على قصف الضحايا في مخيمات اللاجئين وفي كل مكان على مدى الأعوام الخمسة والسبعين الماضية.

استقبل العالم الغربي تدمير فلسطين وتشتت شعبها بوصفه عملاً معجزًا من الله وانتصارًا للقلة الصالحة على الكثرة المتوحشة. فهذه المأساة التي تتكشف يومًا بعد يوم في فلسطين جاءت وفق خطة مدروسة خارج بلادنا، ونُفِّذت بدقة في ظل إشراف القوى الاستعمارية التي خلقت المأساة ودعمها في المقام الأول. وهذه المأساة لم تقع في عصر القوس والسهم في قارة بعيدة عن وعي العالم، بل في عصر الكاميرا والتلفزيون، في عصر الأمم المتحدة التي تتبنى القانون الدولي وتزعم حراسته وسدانته، في قلب العالم العربي والإسلامي القديم.

لم يقتصر الأمر على ذلك، بل جرى إسكات صرخات الضحايا، وتجاهلها، وتأطير المطالبات بالعدالة على أنها أعمال كراهية، وعاقبت المحاكم الاستعمارية قول الحقيقة والتحدث نيابة عن الضحايا، وعدّتها أفعالاً إجرامية. والحقيقة باختصار، أننا أمام مشهد ليس له مثيل في التاريخ.

الحرب العالمية الأولى وخطاب بلفور في 67 كلمة:

كانت فلسطين جزءًا لا يتجزأ من تاريخ بلاد الشام قبل العصر المسيحي وفي أثنائه. في القرن السابع، أصبحت جزءًا من الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، ثم الأمويين والعباسيين، ثم خضعت فترة وجيزة للحروب الصليبية، ثم تعاقب عليها حكام المماليك، حتى دخلت في حكم العثمانيين الذي امتد 400 عام (1517-1917). وانتهى

هذا الحكم في الحرب العالمية الأولى عندما خسر العثمانيون الحرب، وسقطت معظم الدول العربية تحت الحكم الاستعماري الأوروبي. وفي كل هذا التاريخ، لم تكن فلسطين منفصلةً عن سوريا أو مصر، بل تشكل معها وحدةً في الناس والثقافة والدين.

كان عدد سكان فلسطين (1914–1915) في بداية الحرب العالمية الأولى تبعًا للسجلات العثمانية، 722.143 نسمة، منهم 602.377 مسلمًا، و81.012 مسيحيًّا، و38.754 يهوديًّا[1]. وكان ثلث اليهود تقريبًا من الرعايا العثمانيين، والباقون من المهاجرين الأوروبيين الجدد. وكانت أوربا في الواقع تتبنى خطة سرية لاستعمار فلسطين، وإخراج شعبها الفلسطيني من تراثه، بالطرد أو المذابح. وخلقوا أسطورة «فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». وكانت الأسطورة في الواقع خطة لإخلاء فلسطين من أهلها.

وجدت هذه الخطة حليفًا مهمًّا لدى الانتهازي آرثر جيمس بلفور، وزير الخارجية البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى. في عام 1916، كان بلفور جزءًا من مخطط كبير لخداع العرب بأنهم سيتحررون من الحكم العثماني إذا انضموا إليه في طرد الأتراك من المقاطعات العربية.

اقتنع العرب بتأكيداته، وانضموا إلى بلفور. وقامت طائرات الحلفاء بتوزيع منشورات على الأراضي العربية، تكرَّر فيها هذه تعهدات بلفور. في الوقت نفسه، كان مارك سايكس المقرب من بلفور، والدبلوماسي الفرنسي جورج بيكو، منعزلين في غرفة ذات إضاءة خافتة، يفتحان خريطة الشرق الأوسط على الطاولة، ويتقاسمان المنطقة العربية فيما بينهما، ويناقشان ترسيم حدود فلسطين وسوريا ولبنان والعراق.

كان البريطانيون والفرنسيون يتنازعون حول غنائم الحرب على جسد الأمة العربية. وكانت مناورات بلفور مدفوعة بالتطلعات الصهيونية التي أرادت انتزاع المزيد من الأراضي والمزيد من المياه في فلسطين، بشرط ألا يكون فيها بشر. وأرادوا فلسطين فارغة. ومع ذلك، لم تكن فارغة، وكانت غنية وخصبة وممتلئة بشعبها. وكان فيها 1200 مدينة وقرية قديمة.

وفي السابعة مساء يوم الأربعاء 31 أكتوبر 1917، استولت القوات البريطانية على بئر السبع. وكان هذا أول انتصار بريطاني في الحرب العالمية الأولى، بعد الهزائم في غزة، والكوت في العراق، وغاليبولي في تركيا. في صباح اليوم التالي، الأول من نوفمبر، أرسل اللَّنبي برقية إلى لندن يقول فيها: «بئر السبع في أيدينا، وستكون القدس هدية عيد الميلاد الخاصة بك». في 2 نوفمبر 1917، تلقى بلفور برقية من اللنبي، وبادر إلى إعلان ما أصبح

يُعرَف بوعد بلفور. وقد خرج هذا الإعلان من اتفاق بينه وبين أثرياء اليهود الأوروبيين، حيث جاء فيه ما يأتي:

«تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قوميّ للشعب اليهوديّ في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يُفهَم جليًّا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر»[2].

ومنذ ذلك الحين، انقضت 106 سنوات، شهد فيها الفلسطينيون 106 سنوات من الموت والدمار. وكان وعد بلفور وعد من لا يملك لمن لا حقّ له، بالتنازل عن أملاك أصحابها الشرعيين الغائبين. وبالفعل كان بلفور على علم تام بهذه النتيجة. وعندما سُئِل بلفور في نوفمبر 1918 عن ظلم إعلانه، قال:

«في فلسطين لا نقترح حتى الذهاب إلى شكل من أشكال التشاور مع رغبات سكان البلاد الحاليين. القوى العظمى الأربع ملتزمة بالصهيونية. والصهيونية، سواء كانت صحيحة أم خاطئة، جيدة أم سيئة، هي متجذرة في تقاليد قديمة، في الاحتياجات الحالية، وفي الآمال المستقبلية. فهي ذات أهمية أعمق بكثير من رغبات 700000 عربي يسكنون الآن تلك الأرض العريقة»[3].

وفي مناسبة أخرى، وصف بلفور هؤلاء العرب بأنهم «قبائل سوداء همجية وغير متطورة وغير منظمة». وبقوله هذا، تعلم بلفور جيدًا تعاليم معلمه وصديقه حاييم وايزمن، زعيم الحركة الصهيونية في طور التشكل. وبالفعل، في رسالة من وايزمان إلى بلفور يخبره فيها في 30 مايو 1918، أن «العربي خائن... ذكي ظاهريًّا، يعبد شيئًا واحدًا فقط: القوة والنجاح... غير أمين، غير متعلّم، جشع، غير فعّال، ماكر...»[4].

بلفور نفسه لم يكن خاليًا من المشاعر «المعادية للسامية» تجاه اليهود. في مقدمة كتاب تاريخ الصهيونية لسوكولوف، كتب بلفور أنه "[كان] مسعًى جادًّا للتخفيف من المآسي التي طال أمدها والتي خلقتها الحضارة الغربية من خلال وجود جسم غريب [أي اليهود] في وسطها ... غير قادر على طرده أو استيعابه». وفي عام 1905، أصدر بلفور قانون الأجانب، الذي منع اليهود من الهجرة إلى إنكلترا. ووجد أنه من المفيد التخلص من اليهود من خلال زرعهم في الدول العربية؛ ليكونوا بمثابة قاعدة إمبريالية غربية له.

هربرت صموئيل والانتداب البريطاني:

> أنشأ صموئيل مؤسسات يهودية منفصلة للتعليم والبنوك والسلطة والأشغال العامة ووضع قوانين لمصلحة المهاجرين الأوروبيين اليهود مثل تشريعات المواطنة

في عام 1920، بعد ثلاث سنوات من الوعد سيّئ السمعة، عهد بلفور إدارة فلسطين إلى اليهودي الصهيوني هربرت صموئيل، بموجب نظام الانتداب من عصبة الأمم. كان صموئيل هو الشخص نفسه الذي قدّم قبل بضع سنوات ورقة للحكومة البريطانية لاستعمار فلسطين. وبموجب سلطاته بصفته المندوب السامي الأول لفلسطين، بدأ صموئيل بتنفيذ السياسة الصهيونية المتمثلة في الاستيلاء على فلسطين تحت حماية وعد بلفور المكون من 67 كلمة. كان الانتداب على فلسطين يتضمن الوعد الذي قطعه بلفور للحركة الصهيونية ويتوسع فيه. علاوة على ذلك، كان هذا هو الانتداب الوحيد الذي أيدت فيه عصبة الأمم المشروع الاستعماري الاستيطاني، وهو القرار الذي كررته الأمم المتحدة، ولو من خلال التقسيم، بعد حوالي عقدين ونصف من الزمن.

لم تكن جميع الإجراءات التي اتخذها صموئيل مصرحًا بها بموجب شروط الانتداب. لكن عصبة الأمم لم تصادق على الانتداب إلا في 24 يوليو 1922، أي بعد عامين من تعيينه. لكن الانتداب لم يكن يكتسب شكله القانوني الصحيح بالكامل قبل أغسطس 1924 في لوزان، عندما وقّعت تركيا اتفاقية سلام مع القوى المتحالفة. وهكذا أدّى التعيين المبكّر لصموئيل إلى خلق مخالفة قانونية، استخدمها لمصلحة الحركة الصهيونية. وكان ذلك قبل أن تبدأ لجنة الانتداب الدائمة، وهي الهيئة الرقابية، عملها. وهكذا، تمكن صموئيل من تنفيذ عمله بدون قلق من مراقبة عمله من قبل لجنة الانتداب الدائمة، على الرغم من أن هذه اللجنة أصبحت لاحقًا تشارك صموئيل في تأييد الصهيونية.

في السنوات الخمس من ولايته، من عام 1920 إلى عام 1925، أصدر صموئيل حوالي 100 قانون، أسّست هذه القوانين بشكل أساسي «إسرائيل»، في انتظار الإعلان عنها بعد 28 عامًا. أنشأ صموئيل مؤسسات يهودية منفصلة للتعليم والبنوك والسلطة والأشغال العامة. علاوة على ذلك، وضع قوانين لمصلحة المهاجرين الأوروبيين اليهود الذين لم يصلوا بعد، مثل تشريعات المواطنة والأراضي التي مكّنت من الاستعمار، وكم ثَمّ نزع الملكية والتهجير. وكان الأمر الأكثر أهمية هو تشكيل مجلس تشريعي يهودي وجيش يهودي جنيني. وحُرِم الفلسطينيون أبناء الوطن، بالمقابل، من إنشاء مؤسساتهم. ونتيجة لهذه السياسات خلال فترة حكم هربرت صموئيل، ارتفعت الهجرة من 5514 في عام 1920 إلى 33801 في عام 1925، وهو العام الذي غادر فيه منصبه.

ثورة 1936–1939:

بدأ العديد من المسؤولين البريطانيين يدركون بوضوح أن الانتداب خلق وضعًا مستحيلاً حيث حاول هؤلاء المسؤولون دون جدوى، التوفيق بين الالتزام القانوني بمساعدة الفلسطينيين في بناء فلسطين المستقلة والوعد السياسي المعاكس ببناء وطن قوميٍّ يهوديٍّ على الأرض نفسها. ثار الفلسطينيون في عامي 1921 و1929، لكن الثورة الكبرى كانت في (1936–1939). وكان سبب هذه الثورة هو الهجرة اليهودية الجماعية من أوروبا في منتصف الثلاثينيات. وبحلول عام 1939، زاد عدد المهاجرين اليهود ثماني مرات مقارنة بعام 1917، وهو عام الاحتلال البريطاني لفلسطين. في عام 1939، كانوا يشكلون 30 ٪ من إجمالي السكان (445.000 من أصل 1.501.000). وفي ظل تزايد المقاومة الفلسطينية، تبنت الإدارة البريطانية إجراءات وحشية على نحو متزايد لقمع الثورة. وفي هذه الفترة، قبل الحرب العالمية الثانية مباشرة، قامت حكومة الانتداب البريطاني بتدمير نسيج المجتمع الفلسطيني وجعلته فريسة سهلة للغزو الإسرائيلي لفلسطين الذي كان سيأتي في عام 1948.

قامت حكومة الانتداب بحل جميع الأحزاب السياسية الفلسطينية، وسجنت قادتها أو فروا من البلاد. واستقدمت تعزيزات جديدة للجيش البريطاني، وقام سلاح الجو الملكي بإلقاء القنابل على القرى، وهدِّمت المنازل واستهدفت المؤن، وأودع الرجال الأصحاء في المعتقلات وتم تطبيق العقاب الجماعي. أدت المحاكمات السريعة إلى التنفيذ السريع، وكانت حيازة مسدس بسيط تؤدي إلى الحكم بالإعدام، كما أدت حيازة سكين إلى السجن المؤبد، وأعدم البريطانيون الزعيم الشيخ فرحان السعدي البالغ من العمر 80 عامًا، وجرى شنقه وهو صائم في شهر رمضان في 22 نوفمبر 1937.

بحلول عام 1939، كان المجتمع الفلسطيني مدمّرًا تمامًا. والصهاينة يراقبون البريطانيين من جانب، ويؤسسون جيشهم تحت إمرتهم بقوام 20 ألف جندي، وسرعان ما يتضاعف فيما بعد إلى ستة أضعاف. قامت القوات البريطانية بتدريب الميليشيات اليهودية، وأنشأت وحدات النخبة المعروفة باسم SNS (الفرقة الليلية الخاصة)، وأعطتهم الزي الرسمي، وشاركت معهم المعلومات الاستخبارية. وساعد البريطانيون في إنشاء الهاغاناه، جيش «إسرائيل» المستقبلي. وتمكن هذا الجيش من تقليد الوحشية البريطانية وصقلها إلى حد كبير في العصر الحديث.

كانت غيوم الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق عندما اضطرت بريطانيا العظمى في نهاية المطاف إلى إعادة النظر في نهجها الصارم تجاه العرب؛ لكسب دعمهم في

المجهود الحربي. لكن هذا الكسب كان قليلاً جدًّا ومتأخرًا جدًّا. وكان الصهاينة بقيادة دافيد بن غوريون، يستعدون للاستيلاء على فلسطين. اجتمع أربع مئة من القادة الصهاينة في بيلتمور (الولايات المتحدة) في مايو 1942، حيث أعلن بن غوريون عن الخطة الصهيونية «لتأسيس فلسطين كومنولثًا يهوديًّا». وأنشأ الصهاينة «ملفات القرى» لتوثيق كل ما يتعلق بكل قرية استعدادًا للهجوم والاستيلاء عليها.

في عام 1944، كان التقدير الموثوق للمساحة الرسمية التي استحوذ عليها اليهود في فترة الانتداب (1920–1944) هو 927,165 دونمًا [الدونم= 1000م^2]، (في عام 1944). كانت الأراضي التي استحوذ عليها اليهود في الفترة العثمانية صغيرة جدًّا. وكان الرقم النهائي للملكية اليهودية في فلسطين عشية إنشاء دولة «إسرائيل» هو 1,429,062 دونمًا، على افتراض أن الملكية المزعومة في الفترة العثمانية البالغة 454,860 دونمًا صحيحة. ومن ثَمّ كانت المساحة المتبقية من كامل مساحة فلسطين الرسمية البالغة 26,323,000 دونمًا، هي أرض عربية فلسطينية، وتبلغ 24,893,937 دونمًا. والحقيقة أن موقع الأرض اليهودية، وليس مساحتها، هو في غاية الأهمية، حيث تقع في الجزء الساحلي الأكثر خصوبة من فلسطين وعلى طول نهر الأردن، وتتمتع بالتالي بموارد مائية وفيرة.

الحرب العالمية الثانية والإرهاب والغزو في أبريل 1948:

في نهاية الحرب العالمية الثانية، كافأ الصهاينة بريطانيا التي دعمت الحركة الاستعمارية الاستيطانية، ببدء حملة إرهابية ضد المحسنين السابقين لهم. فبادروا إلى قصف المقر البريطاني في القدس، وشنقوا جنودًا بريطانيين، وخطفوا قضاة بريطانيين، فاضطرت بريطانيا إلى إرسال الفرقة السادسة المحمولة جوًّا إلى فلسطين لمحاربة الإرهاب الصهيوني في عام 1945. لكن الهدف لم يكن إنقاذ فلسطين، بل إنقاذ الجنود البريطانيين. بعد حوالي ثلاث سنوات، وبعد عدة أشهر من حرب عام 1948، اغتال الصهاينة الكونت فولك برنادوت، وسيط الأمم المتحدة المعين لإحلال السلام في فلسطين. ووصف مجلس الأمن (القرار 57 الصادر في 18 سبتمبر 1948) عملية الاغتيال الصهيونية بأنها عمل إرهابي جبان.

وتحت ضغط الولايات المتحدة ودعم الدول الغربية، أصدرت الأمم المتحدة قرارًا غير ملزِم (القرار 181، 29 نوفمبر 1947) لمصلحة تقسيم فلسطين إلى دول عربية (فلسطينية) ويهودية (مهاجرة). واقترح هذا القرار أن تكون 55 ٪ من فلسطين تحت حكم

حكومة المهاجرين اليهود، في حين أن ملكيتهم في ظل الانتداب البريطاني كانت 6 ٪ فقط. علاوة على ذلك، كان نصف سكان الدولة اليهودية المحتملة من الفلسطينيين. وكانت الدولة اليهودية المقترنة تضم 174 مستوطنة يهودية، مقارنة بـ467 قرية عربية فلسطينية وثلاث مدن. وعلى العكس من ذلك، لن تكون لدى الدولة العربية سوى عدد قليل من اليهود (حوالي 8000). والقدس، المعينة لتكون كيانًا دوليًا منفصلاً (corpus separatum)، سيكون فيها عدد متساوٍ من اليهود والفلسطينيين.

وبطبيعة الحال رفضه الفلسطينيون، وقبله اليهود إجراءً مؤقتًا. وبعد فترة وجيزة، في أبريل 1948، بدأت الميليشيات اليهودية المعروفة باسم الهاغاناه، بعملية الخطة (د) في غزو بقية فلسطين، وإخلائها من السكان، بقتلهم وطردهم وتدمير قراهم. دعت الخطة (د) في تفصيلاتها إلى "تطويق القرى وتفتيشها، والقضاء على القوات المسلحة وطرد السكان خارج حدود الدولة في حال وجود مقاومة" [5]. وفي المدن، دعت الخطة إلى "احتلال جميع الأحياء العربية المعزولة، والسيطرة عليها [و] تطويق المناطق البلدية العربية، ووقف خدماتها الحيوية (المياه والكهرباء والوقود وغيرها). وفي حالة المقاومة سيتم طرد السكان". ودعت الخطة إلى «تدمير القرى (إشعال النار وتفجير وزرع الألغام في أنقاضها)» لمنع عودة اللاجئين.

وفي الأسابيع الستة المتبقية من الانتداب، هاجم الصهاينة 220 قرية فلسطينية، وفي مقدمتها وأشهرها دير ياسين، وارتكبوا فيها المجازر وأخلوها من سكانها. كما يتبين من الخريطة1، في أبريل 1948، بدأت الميليشيا الصهيونية (الهاغاناه) غزو فلسطين بموجب الخطة (د) بقوة، ووصلت في النهاية إلى 120 ألف جندي مدرب، وهاجمت وأخلت 220 مدينة وقرية فلسطينية رئيسة؛ أي ما يشكّل نصف إجمالي اللاجئين. كان ذلك قبل إعلان دولة «إسرائيل»، وقبل إنهاء الانتداب البريطاني، وقبل أن يدخل أي جندي عربي نظامي فلسطين لإنقاذ الفلسطينيين من مذابح مثل مذابح دير ياسين. كانت «إسرائيل» هي المعتدية. ولم يكن ذلك دفاعًا عن النفس. وتظهر الخريطة الأراضي التي احتلتها «إسرائيل» في هذه الفترة باللون الأحمر، واسم اللواء الإسرائيلي، والقرية المهجورة باللون الأزرق، ومنطقة النفوذ التي جرى تهجير القرى فيها نتيجة المجازر في الدائرة السوداء. وفي هذه المرحلة، وخلافًا لواجبها، لم تقم قوات الانتداب البريطاني بحماية الفلسطينيين من المجازر والطرد. ولم تسمح للقوات العربية النظامية بالدخول إلى فلسطين لحماية الفلسطينيين من المجازر.

الخريطة 1: الغزو الصهيوني قبل دولة إسرائيل

Map 1: Zionist Invasion before Israel State

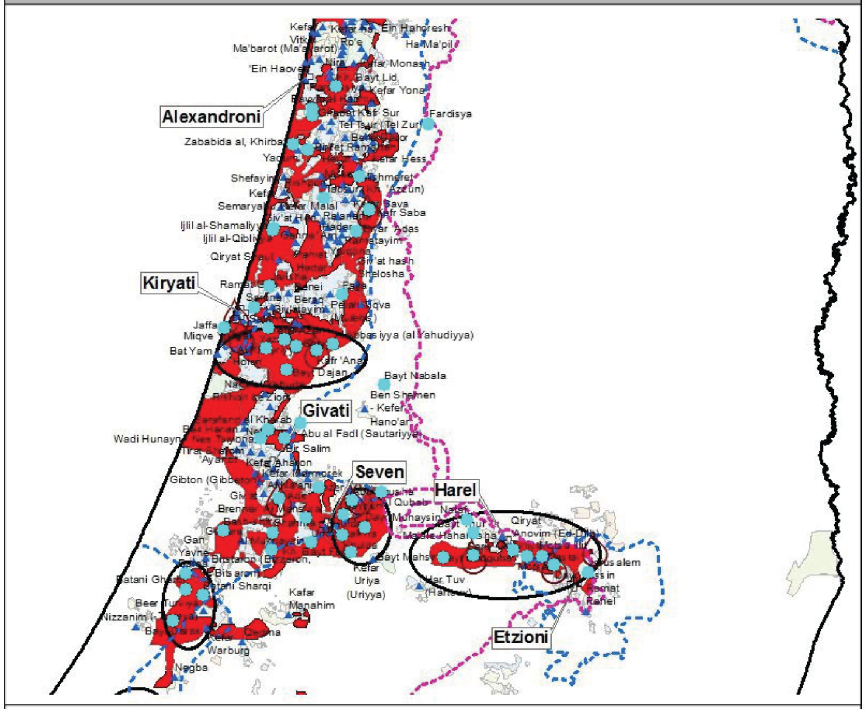

Note: In April 1948, the Zionist militia (the Haganah) started the invasion of Palestine under Plan Dalet, with a force eventually reached 120,000 trained soldiers and attacked and depopulated 220 main Palestinian cities and villages, making up half of all refugees. That was before Israel was declared a stat e, before the British Mandate ended, before any regular Arab soldier entered Palestine to save Palestinians from massacres like Deir Yassin. Israel was the aggressor, it was not in self defence. The map shows the land Israel occupied in this period in red, the name of the Israeli brigade, the depopulated village in blue, the area of influence in which villages were depopulated as a result of a massacre in black circle.

المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

بحلول منتصف مايو 1948، كانت القوات الصهيونية قد طردت السكان الفلسطينيين من المدن الرئيسة و220 قرية، واحتلت ما يقرب من 3500 كيلومتر مربع من الأراضي، أو 13 ٪ من فلسطين، أي بزيادة قدرها 2000 كيلومتر مربع عن الأراضي التي كانت تسيطر عليها سابقًا.

النكبة:

شكلت الهاغاناه ما أصبح يُعرَف باسم قوات الدفاع الإسرائيلية (IDF). وكانت تتألف

من 120 ألف جندي، كثير منهم من قدامى المحاربين في الحرب العالمية الثانية. وبدؤوا غزو فلسطين على نطاق واسع في أبريل 1948، واستمر بعد إعلان دولة «إسرائيل» في 14 مايو 1948، حتى بداية عام 1949، حيث جرى توقيع اتفاقيات الهدنة مع مصر والأردن ولبنان وسوريا. جاءت هذه الدول العربية لإنقاذ الفلسطينيين من المجازر التي ارتكبها اليهود، لكنها لم تكن مستعدة، وعملت تحت أوامر مختلفة.

تبين الخريطة ذات الرقم (2) تقدّم الغزو الصهيوني لفلسطين، حيث نفذ الجيش الصهيوني/ الإسرائيلي 31 عملية عسكرية لاحتلال فلسطين. وكما يتبين، فقد احتلت القوات الصهيونية/ الإسرائيلية 80 ٪ من فلسطين على مراحل متتالية عام 1948، بدءًا من 6 ٪ من فلسطين، التي كان اليهود يسيطرون عليها بالتواطؤ مع الإنكليز. وأخيرًا، قامت «إسرائيل» بإخلاء 560 بلدة وقرية، كان يمكن أن يعيش فيها 9 ملايين لاجئ فلسطيني اليوم.

الخريطة 2: احتلال «إسرائيل» لفلسطين

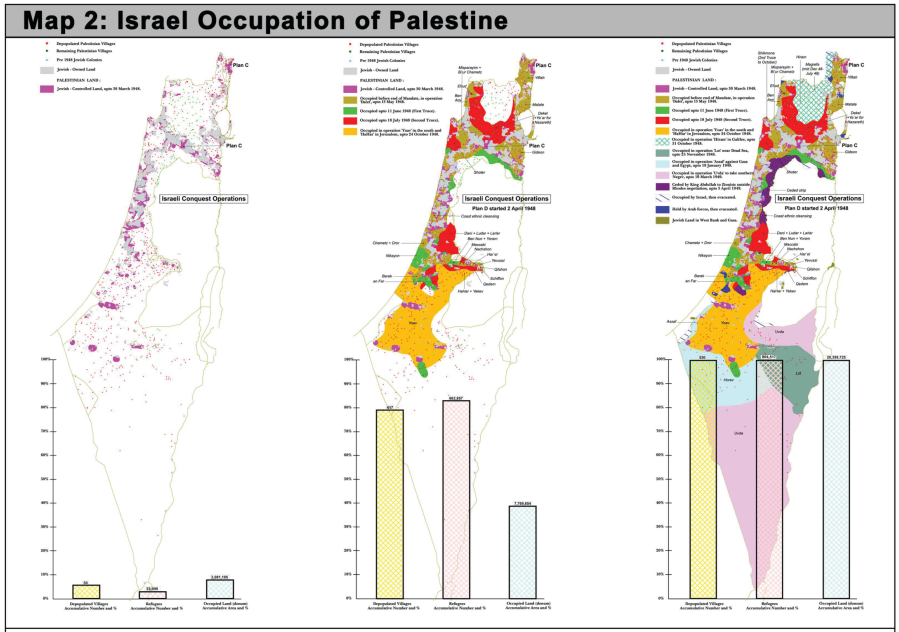

Note: Zionist/Israeli forces occupied 80% of Palestine in successive stages in 1948 as shown, starting from 6% of Palestine, the Jews controlled by British collusion. Finally Israel depopulated 560 towns and villages, who are 9 million Palestinian refugees to day.

المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

علاوة على ذلك، يبين الجدول1 عددًا تقريبيًّا لأنواع مختلفة من جرائم الحرب التي ارتكبتها «إسرائيل» في الفترة (1947–1953)، كما هو مشار إليه بالتفصيل في أطلس فلسطين (1917–1966). يورد الجدول 356 جريمة حرب، منها 156 من المجازر والفظائع وحالات قتل مدنيين. وفي المجمل، جرى إخلاء 530 بلدة وقرية من سكانها، وأصبح 900 ألف فلسطيني، أو ثلثي مجموع السكان، لاجئين[6].

الجدول 1: جرائم الحرب الإسرائيلية

الرمز	توضيح	العدد المسجل
1	الطرد وهروب السكان	15
2	قتل الناس، الفظائع، المجازر	159
3	النهب والسلب	15

4	تدمير المنازل والقرى	124
5	معسكرات الاحتجاز والعمل القسري	7
6	سوء المعاملة، المجاعة، الاغتصاب	18
7	المعاناة بعد الطرد بصفة لاجئ	2
8	مخالفات أخرى	16
المجموع	ملاحظة: هذه الأرقام ليست شاملة	356

المصدر: أبو ستة، أطلس فلسطين 1917–1966.

ونتيجة لذلك، قامت «إسرائيل» بقوتها العسكرية باحتلال مساحة 20500 كيلومتر مربع، أو حوالي 80٪ من مساحة فلسطين، مخالفة بذلك العديد من قرارات الأمم المتحدة. تمثل الخرائط الثلاث أدناه مراحل النكبة قبل وبعد عام 1948 (الخريطة 3).

الخريطة 3: مراحل النكبة

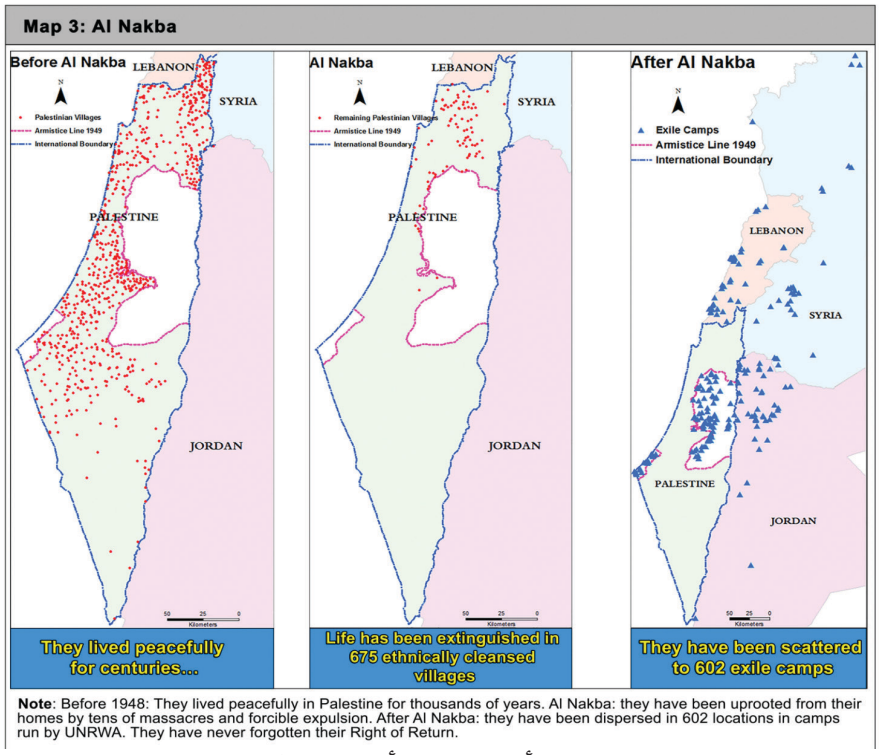

المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

ليس لدى «إسرائيل» حدود معترف بها، لا باعترافها ولا بموجب القانون الدولي. الحدود الحالية هي مجرد خطوط الهدنة لاتفاقيات 1949. ووفقا لهذه الاتفاقيات، فإن هذه الخطوط ليست حدودًا. تنص اتفاقية الهدنة على أن خطوط الهدنة لا تمنح أو تنكر حقوق أي من المطالبين. وحتى اليوم، رفضت «إسرائيل» تحديد حدودها. والغرض منه هو احتلال المزيد من الأراضي الفلسطينية والعربية والمطالبة بها، كما حدث بعد عام 1967 في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان. وفي وقت كتابة هذا التقرير، شنت «إسرائيل» حربًا أخرى على قطاع غزة لإعادة احتلال الأرض والاستيلاء عليها وطرد السكان أو تدميرهم.

نكبة مستمرة: الاعتداء على اللاجئين في المخيمات

لم يتوقف التطهير العرقي في عام 1948. إذ هاجمت «إسرائيل» اللاجئين الفلسطينيين في مخيماتهم في المنفى، أينما كانوا، طوال السنوات الخمس والسبعين الماضية، بهدف القضاء عليهم في عمليات إبادةٍ جماعيةٍ كاملة. إن ظاهرة مطاردة اللاجئين ومهاجمتهم، حتى في منفاهم، هي ظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ التطهير العرقي. وما يأتي يوضح هذا. تعرض اللاجئون الفلسطينيون للهجوم في مخيمات غزة والضفة الغربية والأردن ولبنان وسوريا. وتصف التقارير السنوية لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) مثل هذه الهجمات بحسب التوقيت. في السنوات الأولى: قُتِل القرويون في قبية والبريج عام 1953، وارتُكِبت مجازر في خان يونس ورفح عام 1956. وبعد ذلك، نُفِّذت الهجمات في وادي الأردن في أثناء حرب عام 1967، وفي غزة عام 1971، وفي لبنان من أوائل السبعينيات، بما في ذلك مجازر صبرا وشاتيلا عام 1982، في الانتفاضتين الأولى (1987) والثانية (2000)، في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويخضع قطاع غزة لحصار إسرائيلي كامل منذ عام 2005.

ازداد عدد الفلسطينيين النازحين ومستوى الدمار بشكل كبير داخل غزة، في أعقاب كل هجوم إسرائيليٍّ كبيرٍ على غزة منذ (2008–2009). على سبيل المثال، جرى تهجير حوالي 50.000 شخص، ولحق الضرر أو التدمير بحوالي 60.000 منزل في 2008–2009. كما نزح ما يقرب من نصف مليون شخص في عام 2014، وتضرر أو دُمِّر نحو 100 ألف منزل. وحتى وقت كتابة هذا التقرير (نوفمبر 2023)، كانت

«إسرائيل» قد قتلت 15.000 فلسطيني، وما يزال 4000 في عداد المفقودين تحت الأنقاض، ودمّرت ما لا يقل عن 56.000 وحدة سكنية، وأسقطت قنابل على قطاع غزة الصغير في 46 يومًا أكثر ممّا أُسقِط على أفغانستان في 20 عامًا، وستظل الوحشية الإسرائيلية واضحة في تاريخها.

من هم لاجئو قطاع غزة اليوم؟

ينحدر 2.3 مليون فلسطيني يقيمون في قطاع غزة (1,3 ٪ من فلسطين) اليوم، من 247 قرية في النصف الجنوبي من البلاد قبل أن تطردهم «إسرائيل» عام 1948 (الخريطة 4). وهم محتجزون على شكل رهائن في قطاع غزة منذ ذلك الحين، محرومين من حق العودة إلى منازلهم وأراضيهم وقراهم.

الخريطة 4: جذور لاجئي غزة

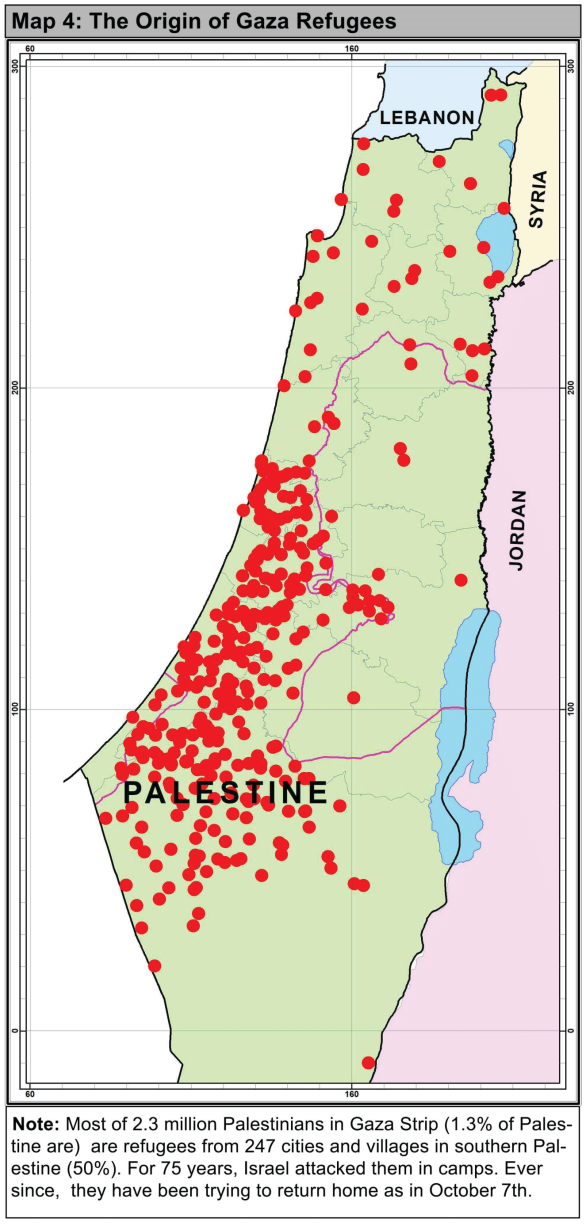

المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

عبر شبان من الجيل الثالث من اللاجئين، السياج الهائل في 7 أكتوبر للعودة إلى

ديارهم. المنزل على مرمى البصر. يمكنهم، بكل معنى الكلمة، العودة إلى المنزل. وفي المنطقة الجنوبية من فلسطين، حيث ينحدر اللاجئون من غزة، يوجد حاليًّا حوالي 150 ألف مستوطن يهودي، يقيمون في 212 مستعمرة أُنشِئت بعد حرب عام 1948. ويحمل العديد من هؤلاء المستوطنين جنسية مزدوجة، معظمهم من أوروبا الشرقية. وهم المعتدون الذين يحتلون أرض اللاجئين. وبالمقارنة، فإن عدد المستوطنين في جنوب البلاد أقل من عدد سكان مخيم واحد للاجئين في غزة. وتبلغ الكثافة السكانية للمستوطنين حوالي 5 أفراد/ كم^2، مقارنة بكثافة سكانية فلسطينية تبلغ 8,000 فرد/ كم^2 في قطاع غزة.

حق العودة:

القرار 194 (1948) الذي ينص على أنه ينبغي السماح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم، قد أكدته الجمعية العامة أكثر من 130 مرة، وهو الأطول في تاريخ الأمم المتحدة. ويكرّس القانون الدولي وعدد لا يحصى من الاتفاقيات الدولية (والإقليمية) العودة حقًّا أساسيًّا. وتشمل هذه الاتفاقيات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، واتفاقية جنيف الرابعة، والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، ونظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، على سبيل المثال لا الحصر. ولم يُسمَح للفلسطينيين بالعودة؛ لأن الحركة الصهيونية ودولة «إسرائيل» الاستعمارية الاستيطانية، التي مكّنتها الدول الغربية والولايات المتحدة على وجه الخصوص، بقيت ملتزمة بهدف بناء «إسرائيل» على أنقاض فلسطين.

كيف يمكننا عكس اتجاه التطهير العرقي في فلسطين؟

تناولنا مسألة كيفية تنفيذ القانون الدولي. وكما تظهر الخريطة رقم 5، فإننا نعرف مكان وجود اللاجئين وما هي قراهم الأصلية. في دراسة قمنا بها وُجِد أن 88 ٪ من اليهود الإسرائيليين يعيشون في 12 ٪ فقط من «إسرائيل». وهذا يعني أن معظم الفلسطينيين الريفيين يمكنهم العودة إلى أراضيهم دون تهجير كبير لليهود إذا كانوا يرغبون في البقاء في فلسطين. أراضي اللاجئين يحتلها الآن الكيبوتس الذي يشكل (1–2) ٪ من السكان الإسرائيليين. مساحاتٌ واسعةٌ من أراضي اللاجئين في «إسرائيل» ما تزال فارغةً أو يستخدمها الجيش لأغراضه (خريطة 6).

الخريطة 5: حق العودة 1

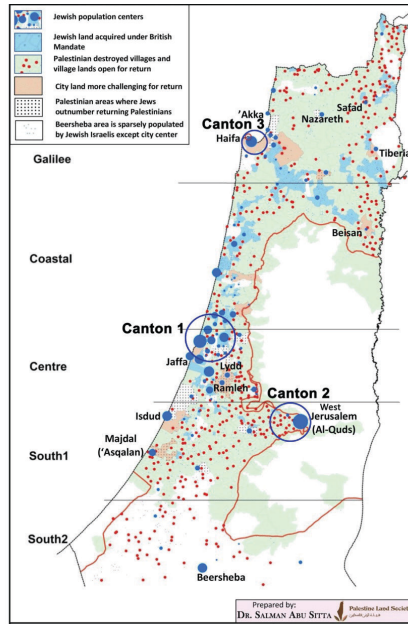

المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

الخريطة 6: حق العودة 2

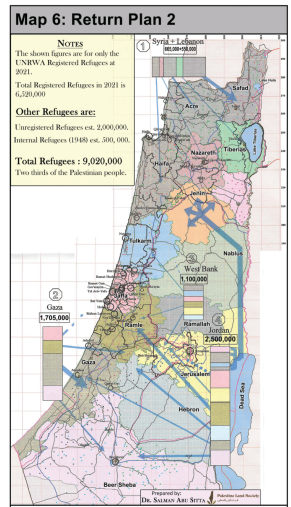

Note: The Return Home is sacred to Palestinians, legal under international law affirmed many times and feasible, because 88% of Israeli Jews live in only 12% of Israel or less. They can be culturally independent in 3 cantons in Tel Aviv, Haifa and West Jerusalem. Thus. the majority of refugees' land is still vacant today.

المصدر: أبو ستة، هيئة أرض فلسطين.

يتركز يهود «إسرائيل» في ثلاث كانتونات: تل أبيب، وحيفا، والقدس الغربية. وعلى افتراض أن اليهود يرغبون في العيش بوصفهم مواطنين عاديين، يمكنهم التمتع بالحرية الثقافية والدينية، كما هو الحال في أي بلد آخر. إن الشرط الأساسي للتعايش السلمي هو إلغاء العنصرية والاستعمار والاحتلال والفصل العنصري والصهيونية بشكل كامل.

ماذا علينا أن نفعل؟

علَّمت الإبادة الجماعية الأخيرة في غزة العالم العديد من الدروس؛ إذ انكشفت جرائم الصهيونية البشعة أمام العالم للمرة الأولى. وجرى كسر الاحتكار الصهيوني/الغربي للأخبار وإسكات صوت الضحية. هناك سببان وراء ذلك: النطاق المروع للجرائم الإسرائيلية الواسع الذي لا يمكن إخفاؤه، وقوة وسائل التواصل الاجتماعي بين الشباب. فضلاً عن ذلك فإن شجاعة الفلسطينيين المحصورين والمحرومين في غزة وثباتهم أمام الدبابات والطائرات، وقدرتهم على الوصول إلى العالم- كان سببًا في تحريك ضمائر الناس العاديين في مختلف أنحاء العالم. ولكن هذا يمكن أن يتلاشى مع مرور الوقت، وعلينا جميعًا واجب التغلب على تلاشيه. يجب على الأكاديميين أن يسخروا أقلامهم لعرض الحقائق المخفية وكشف جرائم الحرب. يجب على الطلاب والعمال والقطاعات النشطة في المجتمع التظاهر وحث السياسيين على اتخاذ الإجراءات اللازمة. على المجتمع النشط أن يقاطع منتجات مجرمي الحرب. ويجب بذل كل جهد ممكن لإنهاء الإبادة الجماعية في غزة وتقديم المجرمين إلى المحكمة؛ لينالوا العقاب والإنصاف.

إن الناس في غزة، بل وفي فلسطين كلها، بحاجة إلى مساعدة فورية. من يُقتَل يُدفَن، لكن خلفهم أطفال وأُسَر يعانون من المجاعة في ظل الحصار الكامل الذي ما يزال قائمًا. يحتاج الأطفال المصابون الذين فقدوا أُسرَهم إلى قدر كبير من الرعاية حتى يكبروا. ليست الجروح التي تصيب أجسامهم هي التي تحتاج إلى الشفاء فحسب، بل تحتاج صحتهم العقلية أيضًا إلى قدر كبير من الرعاية حتى يتعافوا.

وفوق كل شيء، فإن أولئك الذين أصيبوا أو شردوا والذين عانوا لفترة طويلة يستحقون الحصول على حقهم الثابت في العودة إلى ديارهم والعيش في فلسطين الحرة الديمقراطية. وستكون فلسطين هذه موطنًا لأهلها الطبيعيين، مسلمين ومسيحيين ويهودًا غير صهيونيين، كما كانوا من قبل. المبدأ الأساسي هو أن الصهيونية والأيديولوجية والممارسات الأشكنازية، يجب أن تُلغَى، تمامًا مثل النازية في ألمانيا. وينبغي للفلسطينيين العائدين استعادة جميع ممتلكاتهم المنهوبة والحصول على تعويض عن استخدامها لمدة

75 عامًا وفقًا لقرارات الأمم المتحدة. ولكي تتحقق العدالة بشكلٍ كامل، يجب تقديم جميع مرتكبي جرائم الحرب والإبادة الجماعية إلى المحكمة الجنائيّة الدوليّة. كما يجب تسجيل تاريخ جرائمهم وعرضها وتدريسها في المدارس. يجب أن يصبح عالمنا مكانًا أفضل بعد إزالة كل هذا الشر الواضح.

الهوامش والمراجع:

1. Salman H. Abu Sitta, "Palestinian People: Hundred Years of Struggle to Survive," in Habib Tiliouine and Richard J. Estes (eds.), *The State of Social Progress of Islamic Societies*, (Springer Cham: 2016), p. 506.

2. "Balfour Declaration 1917," *The Avalon Project: Documents in Law, History and Diplomacy*, (1917), retrieved from https://avalon.law.yale.edu/20th_century/balfour.asp.

3. <?>. Sharif Nashashibi, "Balfour: Britain's Original Sin," *Al Jazeera*, (November 4, 2014), retrieved from https://www.aljazeera.com/opinions/2014/11/4/balfour-britains-original-sin.

4. Salman Abu Sitta, "A Palestinian Address to Balfour: In Honor of Truth, Memory, and Justice," *Mondoweiss*, (November 30, 2022), retrieved from https://mondoweiss.net/2022/11/a-palestinian-address-to-balfour-in-honor-of-truth-memory-and-justice/.

5. "Explainer: Plan Dalet & The Ethnic Cleansing of Palestine," *Institute for Middle East Understanding*, (March 8, 2023), retrieved from https://imeu.org/article/explainer-plan-dalet-the-ethnic-cleansing-of-palestine.

6. الجدول قائمة موجزة لجرائم الحرب كما هي مسجلة في كتب المؤرخين الإسرائيليين والفلسطينيين والدوليين في السنوات الخمس، حوالي عام 1948. القائمة ليست شاملة، ولكنها توضّح النطاق الواسع من الجرائم من حيث العدد والنوع. وهذا يوضح تغيّر طبيعة الجريمة من التطهير العرقي، أي إخراج الناس من منازلهم، إلى الإبادة الجماعية الصريحة، أي إبادة الناس نهائيًا. ورغم أن «إسرائيل» أنكرت ذلك لسنوات، وبدعم من الغرب، فإن الحرب الأخيرة على غزة كشفت عن حجم الجرائم التي ظلت مخفية لفترة طويلة.

politicstoday.org

Are you concerned with the contemporary world,

where human rights are violated, human dignity is trampled, international order is indifferent to any principle or value, and the might silences the right? Then, follow and join **Politics Today** in its endeavor to understand and analyze the changing nature of international politics.

POLITICS TODAY

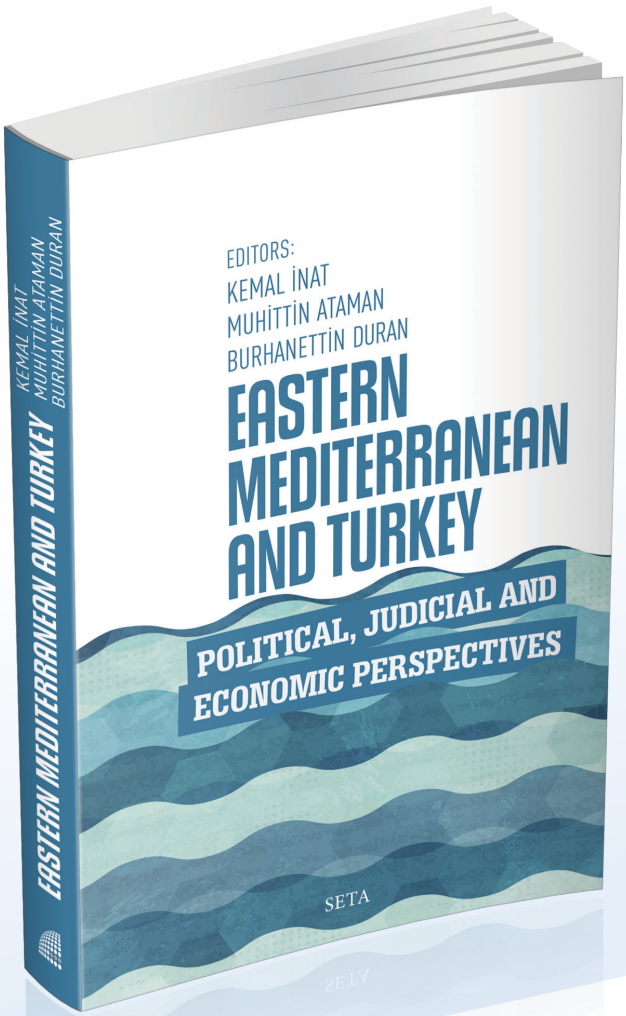

Eastern Mediterranean and Turkey

Kemal İnat, Muhittin Ataman, Burhanettin Duran

This book examines the political, legal, and economic dimensions of the Eastern Mediterranean, and brings new insights into the recent developments and Turkey's policy in the region.

setavakfi setadc setav setavakfi
www.setav.org/en • books@setav.org

SETA